نيرا يوفال-ديفيس[1]

"يطلقون النار ويبكون" : صهيونية، لاسامية، والقلق الوجودي الإسرائيلي[2]

ليس القلق الوجودي ظاهرة تخص الإسرائيليين وحدهم، كما وتؤدي ظروف تاريخية وأوضاع مختلفة يمر بها مجتمع ما إلى ارتفاع منسوب القلق الوجودي على مختلف أنواعه. المهم أكثر هو أن القلق الوجودي يلعب دوراً حاسماً في المسارات السياسية. لم يُعِر علم الاجتماع السياسي، والعلاقات الدولية على وجه الخصوص، الكثير من الاهتمام للعلاقة ما بين الشعوري والسياسي، لا بل ومال إلى الاستخفاف بدرجة أهميته. ففي عصر يرتكز فيه حلّ الصراعات في كثير من الحالات على "ألعاب محاكاة" محوسبة تظهر فيها المصالح العقلانية كأساس منطقي وملائم للحل، من الضروري التأكيد على هذه العلاقة ما بين الشعوري والسياسي. يمتنع اليمين السياسي عادة عن هذا خطأً، في حين يدخل اليسار العلماني نفسه في هذا الفخ وبشكل متكرر.

حتى في المجال الشعوري، فإن تأثير أحاسيس الخوف والتوتر السلبية أكبر من تأثير أحاسيس الحب والإخلاص الايجابية. لقد قرأت في الأمس وفي جريدة محلية، بان جمعية "القدس واحدة"، لم تكتف بأن تقوم شولي ناتان بتأجيج الحب للقدس بواسطة أغنية "القدس الذهبية"، لا وبل عملوا على خلفية الأغنية، محاكاة بأشعة ليزر لصواريخ تطلق من شرقي القدس على غربيها.

يسمي أولريخ باك وأنطوني جيدينز المجتمع الحديث المتأخر "مجتمع مخاطرة" risk society، ولا يمكن فهم الديناميكية السياسية التي تبني شعور الخطر الوجودي كأساس لشرعيتها، دون فهم أهمية هذا الخطاب اليوم على المستوى العالمي وليس المحلي فقط.

---

[1] محاضرة في جامعة شرق لندن.

[2] محاضرة ألقتها الكاتبة في مؤتمر "هامشي في المركز" في ذكرى الباحث باروخ كيمرلينغ، معهد فان لير.

ففي حين أن العنصرية بين المستوطنين الحاكمين وبين مجموعات مهاجرة أخرى، يمكن مبدئياً إبطالها بواسطة تطوير مجتمع متساوٍ وتعددي، إلا أن الأصلانيين يعارضون دائما بناءهم كمجرد مجموعة أقلية في المجتمع، وذلك لأنهم يرون في المستوطنين "المجتمع المكره" ، كما يسمي الابوريجينيين في استراليا المستوطنين البيض، وموافقتهم على أن يكونوا جزءاً من خطاب التعددية الثقافية كمجموعة أقلية، تقوض حقوقهم الأصلانية.

غير أن القلق الوجودي هو ليس قلقاً من الإبادة الجسمانية فقط. لقد تكلم باروخ كميرلينغ عن "الإبادة السياسية" التي تتبعها إسرائيل ضد الفلسطينيين. فمن أجل فهم البعد الشعوري لهذه السياسة، يجب أن نفكر لماذا يبدي الناس استعدادهم للموت في الحرب، في حين هم يعرفون أنهم إذا ماتوا فسوف لا يتمتعون بأنفسهم من ثمار النصر. فكل من يحاول أن يفهم لماذا يستعد الناس– خاصة الرجال منهم– للموت من أجل المجموعة، القومية كانت أم الدينية – كان ذلك في المعركة أم بواسطة هجوم انتحاري على أهداف مدنية، بواسطة تحليل المصالح المادية فقط، يضلل نفسه ويضلل الغير بجهله. فالتذويت الشعوري "للذاتي الجمعي" بواسطة "الذاتي الشخصي" ، هو ما يحدد هنا، رغم أنه وفي معظم الحالات، تتم هذه الوساطة عن طريق جماعات عائلية أو اجتماعية أصغر.

لا يدفع القلق الوجودي إلى الخروج إلى الحرب فحسب. فهو يستطيع أيضا أن يشل وأن يمنع أناساً من الخروج إليها، خاصة عندما لا يكون هدف الحرب واضحاً وكذلك النتائج. كما قال كميرلينغ، فالشك الوجودي في البلاد تجاه هذه الأمور يتعاظم مع الوقت، خاصة بين هؤلاء الذين سماهم "هأحوساليم" (اختصار ل– أشكناز؛ حيلونيم–علمانيون؛ فتيكيم–قدامى؛ سوتسياليسطيم–إشتراكيون؛ وليؤوميم–قوميون (أو صهاينة). فالبذور الأصلية لهذا الشك مدفونة في التناقضات الموجودة في المشروع الصهيوني منذ بدئه، غير أنها تعاظمت في ظل ظروف الاحتلال والمقاومة الفلسطينية منذ ١٩٦٧ من جهة، كما وفي ظل ظروف العولمة والليبرالية–الجديدة منذ تسعينيات القرن الماضي، من جهة أخرى.

لقد كان المشروع الصهيوني ومنذ بدايته (وليس فقط منذ ١٩٦٧) مشروعاً استيطانياً. وكما كتب دايوڤ ستاسيولوس وأنا في كتابنا من سنة ١٩٩٢، فخلال (تقريبا) كل مسارات بلورة الدول القومية، وأيضا في أوروبا، كان الصراع وإخضاع مجموعات أقليات محلية، كما احتواؤهم جزئيا تحت الهوية القومية، واستيطان أبناء الأكثرية في مناطق حدودية والتي كانت حتى حينه مأهولة بسكان آخرين، من أجل تأمين إدخال الأرض داخل حدود الوطن، من مركبات هذا المسار. فعندما قمت بزيارة جامعة في شمال السويد تعلمت مثلا عن "السامي" والذين يرفضون حتى اليوم الاندماج في الشعوب الاسكندينافية. وعندما زرت جنوب النمسا وشمال ايطاليا، التقيت مجموعات أقلية ألمانية وسلافية، والتي ومنذ سقوط الإمبراطورية النمساوية – الهنغارية، لم يجدوا لأنفسهم بيتاً في الدول القومية التي ورثتها، وما زالوا يصدرون جريدة تنادي بإرجاع الإمبراطورية لأنهم فيها فقط لن يكونوا أقليات.

رغم هذا التحفظ والذي بسببه ادّعينا، دايوڤ ستاسيولوس وأنا أن التمييز بين دول قومية وبين مجتمعات استيطانية هو ليس قطبياً، فما هو مقبول اليوم تسمية مجتمعات مستوطنين لمجتمعات خارج أوروبا أتى حكامها أصلا من أوروبا. فالأصلانيون سكان هذه البلاد لم يشملوا كمواطنين متساوين في مسار بناء القوميات الذي حصل هناك. تشهد مجتمعات المستوطنين مساري عرقنة (من عرق) أساسيين مختلفين: مسار واحد يحدث بين المستوطنين الحكام وبين مجموعات مهاجرة متأخرة أكثر والتي هي حيوية للبناء القومي، غير أنها لا تناسب المقاييس العرقية والثقافية في الخطاب المهيمن للشعب الذي يمر بعملية البناء. مسار العرقنة الأكثر عمقا يحدث في العلاقات مع الأصلانيين– الذين لم تتم إبادتهم، إما بشكل مباشر وإما بشكل غير مباشر، بواسطة أمراض وتجويع– في زمن الاستيطان الأول، والذين لم ينزحوا ليعيشوا خارج منطقة تحكم المستوطنين.

ففي حين أن العنصرية بين المستوطنين الحاكمين وبين مجموعات مهاجرة أخرى، يمكن مبدئياً إبطالها بواسطة تطوير مجتمع متساوٍ

في معظم مشاريع المجتمعات الاستيطانية، يرى المستوطنون في البلاد المستوطنة فرصة لبناء مجتمع جديد وأفضل. غير أن المشروع الصهيوني رآى في المشروع الجديد أيضا ترميماً للمجتمع (اليهودي) القديم- الدولة اليهودية التوراتية. أورشليم الجديدة تبنى في بلاد أورشليم القديمة. سمى هرتسل كتابه الطوباوي عن دولة اليهود "التويلند"- الدولة الجديدة - القديمة. وعلى الرغم من أن الحركة الصهيونية رأت نفسها كحركة قومية، فهي لم تستعمل القصة الدينية من أجل رسم حدود المجموعة القومية فحسب فالحركة الصهيونية، بخلاف لحركة "البوند" التي اهتمت باليهود الذين سكنوا شرق أوروبا فقط، أرادت أن يشمل مشروعها يهوداً من كل العالم،

وتعددي، إلا أن الأصلانيين يعارضون دائما بناءهم كمجرد مجموعة أقلية في المجتمع، وذلك لأنهم يرون في المستوطنين "المجتمع المكره" ، كما يسمي الابوريجينيين في استراليا المستوطنين البيض، وموافقتهم على أن يكونوا جزءاً من خطاب التعددية الثقافية كمجموعة أقلية، تقوض حقوقهم الأصلانية. فهذه ليست قضية توجه ذاتي لأبناء مجموعة الأقلية فحسب، بل تأثير الاستيطان ما يراه الأصلانيون -والقانون الدولي- كحقهم الطبيعي لتقرير مصيرهم في وطنهم. فكل مستوطن يتعامل بجدية مع مطلب الأصلانيين في تقرير المصير، يخلق قلقاً وشكاً وجوديين بالنسبة لمجموعته الاستيطانية.

هناك نتائج بعيدة المدى لهذه الصراعات بين المستوطنين وبين الأصلانيين، وطبيعة الحلّ، إذا ما وجد، لهذه الصراعات، وطبيعة المجتمع المقام في هذه البلاد، تتعلق بعوامل كثيرة- مدى التبعية الاقتصادية للمستوطنين بالأصلانيين، طبيعة الأيديولوجية القومية والمواطنة التي استعملت في مسار بناء القومية، عدد الأشخاص من أصول مختلطة من السكان، بالإضافة لعوامل سياسية اقتصادية مناطقية وعالمية. إلا أن العامل الأكثر أهمية في رأيي هو العامل الديمغرافي- ما هي نسبة السكان الأصلانيين التي بقيت في المكان، مقارنة مع نسبة المستوطنين، وذلك إذا ما كان مسار بلورة أمة المستوطنين قد استقر نسبياً. ففي البلاد التي يوجد بها أكثرية ساحقة للمستوطنين- مثل أستراليا، كندا، الولايات المتحدة- الأصلانيون هم الذين يجبرون في نهاية الأمر على الموافقة للتأقلم مع الوضع الذي يمنحهم أعلى حدّ من الاستقلال الذاتي وحقوق على الأرض. أما في البلاد التي يبقى أبناء المجتمع الأصلاني الأكثرية الكبرى بها، مثل الجزائر، زيمبابوي وجنوب أفريقيا، فالمستوطنون هم من يتوجب عليهم التأقلم مع كونهم أقلية أو المغادرة.

إحدى الميزات الخاصة لمجتمع المستوطنين الصهاينة هو أنه ونتيجة لظروف تاريخية محلية وعالمية، ضغوط اقتصادية، سياسية وثقافية، على نساء المستوطنين والأصلانيين الإنجاب كثيراً، ولكن بالأساس بسبب سياسة ديمغرافية تتعلق بالهجرة والتطهير العرقي- ethnic cleansing. حجم السكان المستوطنين كما وحجم السكان الأصلانيين متساوٍ تقريبا اليوم. ممكن أن هذا هو السبب الحاسم لعدم استعداد أيٍ من الطرفين للتصريح بأنه وعلى المدى البعيد، هو الطرف المنتصر أو الخاسر، ومبدئيا، لهذا، سيكون هذا الصراع - إذا لم تحدث تغيرات دراماتيكية غير متوقعة- أطول وممكن أيضا أدمى من صراعات كثيرة أخرى، وهذا يؤدي إلى قلق وجودي قوي عند الطرفين. بالمناسبة، أجد نفسي مرغمة على القول أنه ومن خلال قراءة أدبيات، ومشاهدة التلفزيون في فترة حرب لبنان الثانية، تطور فعلاً في إسرائيل خطاب يائس وإدراك لهزيمة قريبة- ولكنني أتصور، أن الأمور تختلف الآن، وذلك رغم ما قاله أولمرت حول أهمية نجاح لقاء انابوليس.

إضافة إلى القضية الديمغرافية، هنالك عاملان آخران يزيدان من تعقيد الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، إذا ما قارناه مع صراعات مجتمعات مستوطنين أخرى. العامل الأول هو أن المشروع الصهيوني كان منذ بدايته مشروعاً مستقلاً، حيث بني كمشروع تحرر قومي يهدف إلى حل "المشكلة اليهودية" واللاسامية في أوروبا، وليس كذراع للامبريالية، كباقي المشاريع الاستيطانية. خلافاً لحركات قومية أخرى، والتي تبلورت في أوروبا في الفترة ذاتها، لم يكن لليهود أرض قومية هناكّ؛ لذلك فهم لم يندرجوا تحت نموذج المثلث القومي المقدس: شعب، وطن، دولة. فالصهيونية لم تتبن في حلّها مبدأ "أوتو باور" لفصل الشعب عن الدولة، وشمل اليهود في تجمع اشتراكي مناطقي، لا بل قامت بالبحث عن أرض

.. يُطلقون ويبكون

خارج أوروبا يستطيع اليهود الاستيطان بها وإقامة دولة يهودية. فهم قرروا الاستيطان في فلسطين رغم كونها أحد البلاد الأقل تطورا وكثافة بالسكان في الشرق الأوسط، لأنها كانت الوطن الأسطوري للشعب اليهودي و "أرض الميعاد" حسب الدين اليهودي.

في معظم مشاريع المجتمعات الاستيطانية، يرى المستوطنون في البلاد المستوطنة فرصة لبناء مجتمع جديد وأفضل. غير أن المشروع الصهيوني رآى في المشروع الجديد أيضا ترميماً للمجتمع (اليهودي) القديم- الدولة اليهودية التوراتية. أورشليم الجديدة تبنى في بلاد أورشليم القديمة. سمى هرتسل كتابه الطوباوي عن دولة اليهود "التويلند" - الدولة الجديدة - القديمة. وعلى الرغم من أن الحركة الصهيونية رأت نفسها كحركة قومية، فهي لم تستعمل القصة الدينية من أجل رسم حدود المجموعة القومية فحسب فالحركة الصهيونية، بخلاف لحركة "البوند" التي اهتمت باليهود الذين سكنوا شرق أوروبا فقط، أرادت أن يشمل مشروعها يهوداً من كل العالم، وذلك لتجنيد عدد كاف لمشروع الاستيطان، مسار سمي في استراليا "populate or perish".

من أجل ضمان نجاح مشروعها، قامت قيادة الحركة الصهيونية، وكذلك قيادة الدولة فيما بعد، بمغازلة هؤلاء الذين كانوا أصحاب القوة في الشرق الأوسط. فهرتسل قام بزيارة السلطان العثماني، وفي سنوات الاستيطان البريطانيين الذين حكموا المنطقة، وفي معظم سنوات الدولة، أميركا هي صاحبة القوة. لهذا، فإسرائيل، ومع العمل على خدمة مصالحها، كان عليها دائما خدمة مصالح قوة عظمى تتحكم بالمنطقة. هذه الخدمة ممكن أن تكون عسكرية أو، وكما حدث في حرب الخليج الأولى، الامتناع عن استعمال القوة العسكرية.

توجد نتيجتان مهمتان لهذا كلّه:

١- يوجد لإسرائيل اهتمام كبير جدا ومكثف في السياسة الداخلية الأميركية، لأن من يحكم أميركا ممكن أن يتحكم، وإلى حدّ بعيد، إلى أي مدى وكيف يمكن لإسرائيل العمل من أجل مصالحها الخاصة، على الأقل كما تفسر الحكومة الإسرائيلية هذه المصالح. مثلا في موضوع السلاح النووي الإيراني. يفسر هذا الواقع، سبب استثمار إسرائيل والصهاينة الأميركيين -اليهود منهم وغير اليهود- الكثير الكثير باللوبي الإسرائيلي.

٢- النتيجة الثانية هي أن إسرائيل ينظر إليها كممثلة الغرب في الشرق الأوسط. فمع ظهور الرأسمالية في شرق أوروبا في القرن التاسع عشر، وتفكك مجتمع الفلاحين هناك، جرى التعامل مع اليهود كمذنبين وكمسؤولين عن الوضع السيئ الذي وصل إليه الفلاحون، ولهذا فقد لوحقوا وقتلوا في مذابح منظمة.

ممكن أن تقوم إسرائيل بالدور ذاته في واقع اليوم، وذلك عندما يكون الغرب عامة، وأميركا على وجه الخصوص، بحاجة مستديمة لنمط القوة الوحشي لفرض سلطتهم، ولكنهم يفشلون كما يحدث في العراق وأفغانستان، وكما حدث لإسرائيل في حرب لبنان الثانية وغزة. كل تطور إضافي لمسار كهذا، يزيد من ضرورة إيجاد حل بناء للصراع. فهذا هو، كما يظهر جليّا، عامل مركزي لشعور الجزع الوجودي الإسرائيلي اليوم.

أما البعد الثاني للمشروع الصهيوني والذي لم أتطرق إليه بعد هو كيفية استخدام الصهيونية للدين اليهودي، وذلك للحصول على شرعية لسلطتها كممثلة الشعب اليهودي، كما ولمطالبتها بأرض

كان التصور الذاتي للصهيونية وعلى مدار تاريخها على أنها حركة إنسانية وتقدمية، والتناقضات بين هذا التصور وبين الواقع، إما أنه تم إنكارها، وإما أدين بها الطرف الآخر (أي العرب)- بما يسمى يطلقون النار ويبكون-. فخطاب الأحوساليم بعد ٦٧، وكما عبر عنه، مثلاً، في "حديث مقاتلين"، يرى العرب مذنبين لأنهم أدوا بالاسرائيليين إلى خيانة مبادئهم الأخلاقية وان يتحولوا إلى محتلين.

إسرائيل، والذي كانت له إسقاطات كثيرة أيضا بعد قيام الدولة. أدى ذلك إلى تضارب نتج عنه أساس لتجميع اليهود المتدينين، صهاينة كانوا أم متزمتين (حريديين)، قوةً مجددةً لهم، خاصة بعد ١٩٦٧، والتي بدأت في تحدي وتغيير ماهية المشروع الصهيوني. وكما يدعي كميرلينغ، فالعلاقة بين الدين والصهيونية أصبحت أيضا عاملاً مهماً في الشك الوجودي الإسرائيلي- بالأساس بين الأحوساليم.

إن العلاقة غير الواضحة بين القومية والديانة، هي اليوم عامل مركزي ليس بين المستوطنين فحسب، ولكن أيضا بين الأصلانيين الفلسطينيين. إن الظروف التاريخية لنهوض اللاسامية عند الفلسطينيين خاصة، وعند العرب بشكل عام، لهو موضوع مهم لم يبت به بشكل جدي بعد.

تطورت الحركة القومية العربية، على مختلف أجزائها، من خلال مقاومة الإمبريالية الأوروبية، ولكن وقبل كل شيء ضد الامبراطورية العثمانية. لذلك فان مبدأ شموليتها للانتماء القومي كان لكل من يعيش على أرضها القومية دون فرق في الدين- والذي كان مبدأ الانتماء الأساسي حسب طريقة الملل العثمانية.

خلافاً لذلك، وكما ذكرت سابقا، بنت الصهيونية حدوداً قومية شملت أناساً من كل العالم والذين انحدروا من انتماء إثني-ديني واحد. الشرقيون، أو العرب-اليهود- شملوا بداية كمنتمين لمجموعتين قوميتين وذلك نتيجة مبادئ متناقضة في تعريف الانتماء القومي عند الطرفين. لم يمنع هذا من تحويلهم إلى عامل مهمش في المجموعة القومية الأولى (رغم أنهم وسلالتهم يكونون اليوم أكثرية في المجتمع الإسرائيلي). كما ولم يمنعوا من أن يكونوا عمليا أعضاء في المجموعة القومية الثانية (ما عدا العدد القليل جدا الذي بقي ليعيش في الدول العربية). عندما بدأت في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي بلقاء مفكرين عرب وفلسطينيين في الخارج، قال لي الكثير منهم أن عمل الصهيونية هذا، كان أحد الأمور التي أقلقتهم كثيراً. فهم شعروا أن ذلك يقوض نضالهم ضد الفئوية الدينية في مجتمعهم، والذي رأوا به نضالاً مهماً جداً. كما نعلم اليوم، فشل هذا النضال في معظمه كما وأدى إلى تطور قلق وجودي لدى الكثيرين في الأمة العربية والفلسطينية. فإن أحد محفزات مفكرين فلسطينيين لتطوير حركة تنادي بمشروع دولة مشتركة، هو محاولتهم إضعاف التماثل بين القومية الفلسطينية والإسلام، مما يؤدي إلى إقصاء ليس اليهود فحسب، وإنما النصارى والعلمانيين أيضاً، من عضوية كاملة في القومية الفلسطينية و/أو العربية.

يجب القول، أن صراعات الإقصاء والشمل هذه لأفراد ولجماعات مختلفة، بعيدة كل البعد عن الواقع الذي وصفه زيجمونط باومان والذي يحظى الناس به بحرية اختيار كما وإعادة إنتاج مجدد لهويتهم، وأهلهم ومكان سكنهم. كما ادعيت، هذا هو وصف مشوه للواقع العالمي-بما في ذلك الغرب- الحالي، ما عدا عدد قليل نسبيا من الشرائح المتميزة- ولا شك في أنها تضم عدداً غير قليل من الإسرائيليين. وأكثر من ذلك، فالشكل الذي يستغل به كثير من رجال التكنولوجيا-العليا الإسرائيليين ظروف إسرائيل الأمنية الخاصة في تطوير صناعات أمنية، تساعد، وبشكل متناقض (paradoxi-cally)، على تحييد التأثيرات الاقتصادية، وبشكل كبير الاجتماعية أيضا لمجتمع المخاطرة الإسرائيلي، كما وتحول إسرائيل إلى " نور للشعوب " بشكل لم يتخيله حتى مؤسسو الصهيونية.

نتج القلق الوجودي في الفترة السابقة، أي فترة سيطرة الصهيونية العمالية والأحوساليم، عن عجزهم مصالحة المثل الاشتراكية مع الممارسة العملية للصهيونية. لقد تكلم ديفيد هكوهين في مذكراته عن إحباطه عندما فشل في إقناع مشتركين آخرين في المؤتمر الاشتراكي في لندن، على أن القيام بحرق بندورة من إنتاج المزارعين العرب، هي جزء من تحقيق مبادئ الصهيونية العمالية الثلاثة- أرض عبرية، عمل عبري، وسوق عبري-، وهي ممارسات اجتماعية تقدمية وليست بالعنصرية. كان التصور الذاتي للصهيونية وعلى مدار تاريخها على أنها

المجتمع الإسرائيلي : يعرف ويصمت.

حركة إنسانية وتقدمية، والتناقضات بين هذا التصور وبين الواقع، إما أنه تم إنكارها، وإما أدين بها الطرف الآخر (أي العرب)– بما يسمى يطلقون النار ويبكون–. فخطاب الأحوساليم بعد ٦٧، وكما عبر عنه، مثلاً، في "حديث مقاتلين"، يرى العرب مذنبين لأنهم أدوا بالاسرائيليين إلى خيانة مبادئهم الأخلاقية وان يتحولوا إلى محتلين. يقتبس باروخ كميرلينغ في كتابه عن الأنوميا والاندماج (assimilation) في المجتمع الإسرائيلي، الجندي "نحمان" الذي يشكو من أنه " من الصعب أن تكون إنسانا في أوضاع الاستنفار الدائم للحرب"– حتمية "فرض علينا" التي طورها موشي ديان.

عندما بدأ بعض منا بالعمل ضد الاحتلال عقب حرب ٦٧، كنا وعلى سذاجتنا نفكر أنه إذا ما قمنا بكشف واقع الاحتلال، ناهيك عن تاريخ الصهيونية كمشروع استيطاني، سنستطيع مسّ قلوب الإسرائيليين "الجميلين؛ الحساسين"، وفي لحظة معرفة عموم الإسرائيليين الحقيقة، سوف ينضمون إلينا في نضالنا. وفعلا، فمعارضة الاحتلال، وخاصة بعد حرب ١٩٧٣ تعاظمت، وخاصة بين الشباب الذين انكشفوا أكثر وأكثر للخطاب العالمي لجيل ١٩٦٨ المناهض لحرب فيتنام. بيد أن ما لم نأخذه بالاعتبار هي حقائق "أوسكار وايلد" الذي ادعى بأن التلون ما هو إلا الضريبة التي يدفعها "هويس" ل–"فيرتوي". فقد أدى كشف فظائع الاحتلال وفظائع ٤٨ وما قبلها، إلى تحويل ممارسات الاحتلال إلى طبيعية وعادية، يتغاضى عنها معظم الإسرائيليين، خاصة إذا لم تحدث أية عمليات تفجيرية. أما الحقيقة الثانية التي تغاضينا عنها هي حقيقة "البر ميمي" الذي ادّعى أن حالة المواجهة بين الكولونيالي وبين الواقع تحت الكولونيالية، لا يوجد فيها عمليا فضاء حيادي.

تسبب ذلك في خلق خوف وجودي عميق عند الاحوساليم الذين تأثروا كثيرا بما حدث في الكارثة، ولم يفهموا كيف تغاضى العالم آنذاك عما حدث. أدى ذلك إلى رفض عميق، لمدى سنوات، لتقبل أية مسؤولية أخلاقية عمّا جرى للفلسطينيين، كما وللميل لنسب كل انتقاد لإسرائيل، للاسامية المغروسة في قلب كل من هو غير يهودي في العالم. وللمفارقة، فهذا الموقف يساعد على تشجيع اللاسامية. مع تعاظم نضال ورفض الفلسطينيين للاحتلال، ومع تعاظم الاضطهاد الإسرائيلي وكشفه في وسائل الإعلام العالمية، تغيرت في العالم، وبشكل كبير، رؤيا الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، ويتمتع الفلسطينيون اليوم من الموقف الرمزي كالذي حظي به سود جنوب أفريقيا خلال فترة نضالهم ضد ويلات الابرتهايد. إذا ما وصف كل نقد لإسرائيل– حتى إذا لم يكن نقداً مبدئياً ضد ألصهيونية– كلاسامية، فكون الإنسان لا سامي ليس بالأمر المهول.

فحسب رأيي، إن النضال للفصل بين اللاسامية وبين انتقاد

إسرائيل والصهيونية، لهو أحد الأهداف السياسية المهمة، يجب أن ينضم إليه كل من يهتم في أن لا يعاني اليهود من العنصرية والملاحقه بعد.

انتقلت في السنوات الاخيرة من البحث في القومية والمواطنة، للبحث في السياسة والانتماء. يوجد عدد من المحاسن لهذا التوجه ويجب ذكرها هنا. أولا: سياسة الانتماء، تشمل في طياتها ، encompass، سياسة مواطنة وسياسة هوية، وبالأساس تشمل البعد الشعوري للانتماء، والذي أتيت على أهميته في بداية المحاضرة. ثانيا: عندما نتكلم عن سياسة الانتماء، يكون أسهل علينا أن نرى أن ما هو تحت المحك هي مشاريع سياسية محددة، تشجع وتقدم من قبل أناس وجماعات محددة تهدف في هذه المشاريع إلى الحصول على "مواضع قوة" أيضا بين جماهيرها، وليس فقط لتطوير كل المجتمع، فلا يوجد إغراء لبناء التضامن والاشتراك في مجموعات سياسية محددة. يمكن أن تكون هذه دول، ولكن أيضا جماهير سياسية والتي هي أقل من أو فوق الدولة.

في ظل أوضاع سياسية تتضعضع فيها هيمنة مشروع سياسي محدد، تتعاظم المنافسة بين مشاريع انتماء سياسية مختلفة ويتضعضع شعور الاستقرار. هذا هو سبب آخر للخوف الوجودي، إضافة إلى الخوف الخاص الذي تؤدي إليه توترات وتناقضات داخلية لكل مشروع كهذا، وإضافة إلى الضغوطات الخارجية. يوجد في إسرائيل الآن عدد لا بأس به من مشاريع كهذه والمقدمة من قبل مجموعات من فئات مختلفة في المجتمع الإسرائيلي المتصدع اليوم أكثر من أي وقت مضى.

كما بدأ باروخ كميرلينغ إظهاره، من المشاريع المهمة هذه، مواضيع العسكرة من جهة، والمسيانية الدينية من جهة أخرى. والتعاون المتبادل ليس فقط ما بينهما، لا وبل لإثنيهما مع سوق العولمة النيو- ليبرالي المدار من قبل أميركا، والتي بدورها موجودة في خوف وجودي خاص بها نتيجة التحديات الكبرى لشرعيتها العسكرية والاقتصادية في العالم. إن مشروع الانتماء المتصاعد للفلسطينيين سكان إسرائيل، والذين يطالبون بمواطنة كاملة تشمل حقوقاً مدنية، سياسية، اجتماعية وثقافية، كما وتعاونهم المتصاعد مع الفلسطينيين ومع الدول العربية، وخاصة الشتات الفلسطيني، لهي ظاهرة مهمة جداً في سياق القلق الوجودي الإسرائيلي.

يوجد أيضاً المشروع السياسي للانتماء عند الإسرائيليين وعند الإسرائيليين السابقين ، مثلي، والذين اختاروا محاربة قلقهم الوجودي باختيار حياة في الشتات والانتقال إلى حياة "الغريب". ولكن "غريب" ليس بالمفهوم الشوستي ولا حتى الرمزي كما رآه باومان، ولكن بالمفهوم الذي تتضمنه رسائل "هومي" في الحب: ليس محاولة للاندماج (الذوبان)، ولكن إثراء متبادلاً للاختلاف في سياق مساواة.

صدر حديثاً عن مدار

مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية
MADAR The Palestinian Forum for Israeli Studies